بعد صيام رمضان

عن الصلاة وقت طلوع الشمس، كما تُكرَه أيضاً بعد طلوعها إلى أن تطلع بمقدار رُمح، ويُسَنّ تأخير صلاة عيد الفطْر؛ حتى يتمكّن المسلمونَ من إخراج زكاة الفِطْر.

مكان صلاة عيد الفِطْر

يُسَنّ أداء صلاة العيد في مُصلّى؛ لما ورد من فعل النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إن لم يكن هناك أيّ عُذر يمنع من ذلك، أمّا إن وُجِد عذرٌ، كالمطر، أو الرّياح، فلا حرج بأن تُؤدّى في المسجد، وإن وُجد مَن لا يستطيع الخروج إلى المُصلّى؛ لضعف أو عجز، استخلف الإمام في مسجد البلد من يُصلّي بهم؛ لما ورد من فعل عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

وقد قال ابن قدامة -رحمه الله- في ذلك: «السنّة أن يُصلى العيد في المصلّى؛ لأنّ النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان يخرج إلى المصلّى ويدع مسجده، وكذلك الخلفاء من بعده، ولأنّ هذا إجماع المسلمين، فإنّ الناس في كلّ عصر ومصر يخرجون إلى المصلّى فيصلّون العيد»، وقال ابن القيّم أيضاً: «كان -صلّى الله عليه وسلّم- يصلّي العيدَين في المصلّى، وهَدْيه كان فعلهما في المصلّى دائماً».

حُكم صلاة عيد الفِطْر

تعدّدت أقوال أئمة الفقه في حكم صلاة العيد، وذهبوا في ذلك إلى ثلاثة أقوال، بيانها فيما يأتي:

- القول الأوّل: قال الشافعيّة، والمالكيّة بأنّ صلاة العيد سُنّةٌ مُؤكّدة؛ استدلالاً بما ورد عن النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من قوْله لِأعرابيّ سأله عمّا افترضه الله -سبحانه- عليه: (خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ. فَقالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلا أنْ تَطَوَّعَ)، واستدلّوا أيضاً بمُداوَمة النبيّ -عليه الصلاة والسلام- عليها.

- القول الثاني: قال الحنفيّة بأنّ صلاة العيد واجبة؛ وقد استدلّوا بأنّ النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- داومَ عليها، ولم يتركها ولو مرّة واحدة، ولأنّها تُصلى جماعةً؛ فلو كانت سُنّةً لَما أُدّيت جماعةً، أو جاء فيها استثناء كصلاة التراويح.

- القول الثالث: قال الحنابلة بأنّ صلاة العيد فرضٌ على الكفاية؛ استدلالاً بقوْل الله -تعالى-: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)، وبعدم ترك النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لها.

حكمة مشروعيّة صلاة عيد الفِطْر

يُؤدّي المسلمون صلاة عيد الفطْر بعد أن مَنّ الله عليهم بإتمام صيام شهر رمضان؛ شُكراً له، على ما أنعم به عليهم من النعم التي لا تُحصى، كصحّة أبدانهم، وأداء العبادات التي شرعها؛ من صدقة، وتكبير، وصلاة، وقيام، وصيام، وغيرها.

مكانة عيد الفطْر في نفوس المسلمين

يضرب عيد الفطر أرقى المعاني للأمّة الإسلاميّة؛ إذ يظهر فيه التكافل الاجتماعيّ بين المسلمين، والوحدة فيما بينهم، وتسمو رُوح الجوار؛ ليصبحوا وكأنّهمَ أهل بيت واحد يغمرهم الإخاء، وتظهر بشكل واضح قيمة الإخلاص، ويتبادلون التهاني فيما بينهم.

والعيد يوم فرح وسرور وتجمُّل، ويحرص المسلمون فيه على إطعام الفقراء، وسَدّ حاجاتهم، فلا يشعرون بالنقص، كما أنّ العيد يحرص على صلة الرّحم، والأصدقاء، فتتصافى النفوس المُتشاحنة، وتثبت على طاعة الله -تعالى-، والسّعي في سبيل نَيْل رضاه ومَحبّته؛ فكما أنّ العبد استقبل العيد بالطاعة، فإنّه يجدر به العَزم وعَقْد الإرادة على الثبات والاستمرار عليها.

وقفات رمضانية

«يا ابن آدم لوبلغت ذنوبك عنان السماء»

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: قال الله تبارك وتعالى: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي وصححه ابن القيم وحسنه الألباني.

غريب الحديث

عنان السماء: وهو السحاب وقيل ما انتهى إليه البصر منها.

قراب الأرض: ملؤها أو ما يقارب ملأها.

إنك ما دعوتني ورجوتني: أي ما دمت تدعوني وترجوني.

ولا أبالي: أي إنه لا تعظم علي مغفرة ذنوبك وإن كانت كبيرة وكثيرة.

منزلة الحديث

هذا الحديث من أرجى الأحاديث في السنة، ففيه بيان سعة عفو الله تعالى ومغفرته لذنوب عباده، وهو يدل على عظم شأن التوحيد، والأجر الذي أعده الله للموحدين، كما أن فيه الحث والترغيب على الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى.

أسباب المغفرة

وقد تضمن هذا الحديث أهم ثلاثة أسباب تحصل بها مغفرة الله وعفوه عن عبده مهما كثرت ذنوبه وعظمت، وهذه الأسباب هي:

-1 الدعاء مع الرجاء :

فقد أمر الله عباده بالدعاء ووعدهم عليه بالإجابة ، فقال سبحانه: ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (غافر: 60) ، وقال – صلى الله عليه وسلم –: (الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ هذه الآية) رواه أحمد ، ولكن هذا الدعاء سبب مقتض للإجابة عند استكمال شرائطه وانتفاء موانعه ، فقد تتخلف الإجابة لانتفاء بعض الشروط والآداب أو لوجود بعض الموانع. ومن أعظم شروط الدعاء حضور القلب، ورجاء الإجابة من الله تعالى، قال – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي رواه الترمذي : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) ، ولهذا أمر العبد أن يعزم في المسألة وألا يقول في دعائه اللهم اغفر لي إن شئت، ونهي أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة، وجُعل ذلك منَ موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد حبل الرجاء ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء، وما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة مع عدم قطع الرجاء، فإن الله يستجيب له ويبلغه مطلوبه ولو بعد حين، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له.

-2 الاستغفار مهما عظمت الذنوب :

السبب الثاني من أسباب المغفرة المذكورة في الحديث، هو الاستغفار مهما عظمت ذنوب الإنسان، حتى لو بلغت من كثرتها عنان السماء وهو السحاب أو ما انتهى إليه البصر منها، وقد ورد ذكر الاستغفار في القرآن كثيراً فتارة يأمر الله به كقوله سبحانه: ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ (المزمل: 20)، وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ (آل عمران: 17)، وتارة يذكر جزاء فاعله كقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ (النساء: 110) . والاستغفار الذي يوجب المغفرة هو الاستغفار مع عدم الإصرار على المعصية والذنب، وهو الذي مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة في قوله: ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (آل عمران: 135)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك) والمعنى أي ما دمت على هذ الحال كلما أذنبت استغفرت من ذنبك، قال بعض الصالحين: «من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره»، وكان بعضهم يقول: «استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير».

وأفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيح: (سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، ومن صيغ الاستغفار العظيمة ما ورد في الحديث الصحيح عند الترمذي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف) . -3 التوحيد الخالص :

السبب الثالث من أسباب المغفرة تحقيق التوحيد، وهو من أهم الأسباب وأعظمها، فمن فقدَه فقدَ المغفرة، ومن جاء به فقدْ أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ (النساء: 48)، والتوحيد في الحقيقة ليس مجرد كلمة تنطق باللسان من غير فقه لمعناها، أو عمل بمقتضاها، إذا لكان المنافقون أسعد الناس بها، فقد كانوا يرددونها بألسنتهم صباح مساء ويشهدون الجمع والجماعات، ولكنه في الحقيقة استسلام وانقياد، وطاعة لله ولرسوله، وتعلق القلب بالله سبحانه محبة وتعظيما، وإجلالا ومهابة، وخشية ورجاء وتوكلا، كل ذلك من مقتضيات التوحيد ولوازمه، وهو الذي ينفع صاحبه يوم الدين.